

شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / الرقائق والأخلاق والآداب



التمسك بالأمل وقت الأزمات (خطبة)

الشيخ محمد عبدالنواب سويدان

[مقالات متعلقة](#)

تاريخ الإضافة: 15/4/2025 ميلادي - 17/10/1446 هجري

الزيارات: 4656



التمسك بالأمل وقت الأزمات

نص الخطبة:

الحمد لله الذي رفع السماء بلا غمد، الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فما لا شك فيه أن طبيعة الدنيا التي نحيها الابتلاءات وكثرة المشكلات؛ فهي دار ابتلاء ومحن، ولم لا وقد جُبلت على ذلك، وأضحى الإنسان فيها في تعب ومشقة؟! قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البند: 4]، ويقول القائل عن الدنيا:

جُبلت على كدرٍ وأنت تريدها صفواً من الأقدار والأكدار

ومُكَلِّف الأيام ضد طابعها مُتَطَلِّب في الماء جذوة نَارٍ

آلام وأحزان وفتن وحروب ضاعت معها كثير من بلاد المسلمين في الفوضى؛ أحوال اقتصادية حرجية، ومعاناة الفقراء، ومظاهر الظلم والقهر، وغير ذلك من أسباب، والتي من خلالها نصب الشيطان شرك الئاس والتشاؤم لكثير من الناس: "لا فائدة - لا أمل!"

غير أن السائر إلى الله تعالى لا يضيق صدره بطبيعة الحياة فيتألم أو يئأس من روح الله ورحمته؛ لأنه مؤمن بأن الأقدار والكون بيد الله تعالى، وعليه تزداد ثقته ويقينه في ربه، فينطلق الأمل من الإيمان بالقدر، ((واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك))؛ [رواه الإمام أحمد، وصححه الأرئوط].

وينطلق الأمل من اليقين في الله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]، ففي أشد الظروف يأتي نداء الأمل ليبعث في الإنسان الحياة، فمع الإيمان لا يأس مع الأمل لا حزن مع اليقين لا قنوط.

فالأمل هو حُسْن ظن العباد بربهم، ونور الحياة، وخلق يؤسس به الشباب مستقبلهم، وبينون به مجدهم، ويرفعون به رأيهم، وهو قوة دافعة تشرح الصدور، وتنير القلوب، وتنشط الأبدان، وتعلي الهمم.

• وانظر أخي الكريم إلى سورة الشرح التي كانت تتضمن اليسر والأمل والتفاؤل واقتران الألام بالفرج والنصر واليسر، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح: 1 - 8].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرْجُ مَعَ الْكَرْبِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))؛ (رواه الخطيب في تاريخه)، وعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: "لو دخل عسر في جُحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه؛ لأن الله -تعالى- يقول: ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾".

وكتب أبو عبيدة إلى عمر أمير المؤمنين، يذكر جموعاً من الروم، وما يتخوف منهم، فكتب إليه -عمر رضي الله عنه-: أما بعد، فإنه مهما نزل بعيد مؤمن من منزل شدة، إلا جعل الله بعده فرجاً، وإنه لن يغلب عسرٌ يُسرين".

• والأمل كان سمة النبي صلى الله عليه وسلم يبتث في كل أحواله وبلا استثناء، يؤمل أصحابه وأمته بحصول المقصود من العطاء، والنصر، والتمكين، والأمن والأمان، وأن المستقبل للإسلام، ويوسع أملهم بقبول أعمالهم وفوزهم بالجنة.

والمثل الأعلى للمصلحين سيدنا رسول الله صلوات الله عليه، فقد ظل في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو قومه إلى الإسلام، فيلقون دعوته بالاستهزاء، وقرآنه باللغو فيه، وحججه بالأكاذيب، وآياته بالتعنت والعناد، وأصحابه بالأذى والعذاب، فما لانت له قناة، ولا انطفأ في صدره أمل. وقد اشتد أذى المشركين لأصحابه، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم في ثقة ويقين: ((تفرقوا في الأرض، وإن الله سيجمعكم)).

• وجاءه أحد أصحابه "خباب بن الارت"، وكانت مولاته تكوي ظهره بالحديد المُحمى، فضاق بهذا العذاب المتكرر ذرعاً، وقال للرسول في ألم: ألا تدعو لنا؟ كأنه يستبطن سيرة الزمن ويستحث خطاه، ويريد حسم الموقف بين الإيمان والشرك بدعوة محمدية تهتز لها قوائم العرش، فينزل الله بأسه بالقوم المجرمين، كما أنزله بعاد وثمود والذين من بعدهم.

وغضب النبي صلى الله عليه وسلم لهذه العجلة من صاحبه، وألقى عليه درساً في الصبر على بأساء اليوم، والأمل في نصر الغد، فقد روى البخاري في صحيحه عن الصحابي الجليل خباب بن الارت رضي الله عنه أنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ؟ فَقَعْدَ وَهُوَ مُخْمَرٌ وَجْهَهُ فَقَالَ: ((لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ لَيْمَسُطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِشَاطُ عَلَى مَقَرِّ رَأْسِهِ فَيَسْقُطُ بِالنَّيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكْبُ مِنْ صَلَاعٍ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)).

• وفي الهجرة من مكة والنبي صلى الله عليه وسلم خارج من بلده خروج المطارد المضطهد الذي يغير الطريق، ويأوي إلى الغار، ويسير بالليل، ويختفي بالنهار، وانظر إليه حينما يلجأ إلى غار ثور في هجرته مع صاحبه الصديق، ويقتفي المشركون آثار قدميه، ويقول قائلهم: لم يعد محمد هذا الموضع، فإما أن يكون قد صعد إلى السماء من هنا، وإما أن يكون قد هبط إلى الأرض من هنا.

ويشتد خوف الصديق على صاحب الدعوة وخاتم النبيين، فيبكي ويقول: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأى، فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما ظنك باثنين الله ثالثهما))، وكانت العاقبة ما ذكره القرآن: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 40].

وفي الطريق يلحقه الفارس المغامر سراقه بن مالك وفي رأسه أحلام سعيدة بمائة ناقة من حمر النعم - جائزة قریش لمن يأتي برأس محمد حياً أو ميتاً - ولكن قوائم جواده تسوخ في الأرض ويدركه الوهن، وينظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ويكشف الله له عن الغيب المستور لدينه، فيقول له: ((يا سراقه، كيف بك إذا ألبسك الله سوارى كسرى؟))، فيعجب الرجل ويبهت، ويقول: كسرى بن هرم؟ فيقول: "نعم".

فالأمل يعين الناس على مشقات الحياة يدفع الزارع للزرع أملاً في الحصاد، ويغري التاجر للمخاطرة بماله أملاً في الربح، ويحفز المتعلم إلى الصبر في طلب العلم أملاً في النجاح، ويتجرّع المريض مرّ الدواء أملاً في السلامة والعافية، فلو لا الأمل ما زرع زارع، ولا تاجر متاجر، ولا تَعْلَمُ مُتَعْلِمٌ، ولا تجرّع مريض دواء؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد البشر، **أما بعد:**

فيا أيها المسلم، مهما كان همك مادياً أو معنوياً، فلا تبتس ولا تحزن ولا تيأس؛ لا تيأس من الفقر المادي؛ فالفقر قد يغتني، لكن سئل الله ولا تعجز.

لا تيأس وأنت ترى أهل الباطل يتمردون على أهل الحق ويعيثون في الأرض فساداً.

لا تيأس وأنت ترى الفحش يتسلط فيصير سئنة، بينما صارت القيم بدعة عصرية.

لا تيأس فأشد ساعات الليل ظلمة هي تلك الساعة التي يعقبها بزوغ الفجر.

لا تيأس فمن وراء الشدة يأتي الفرج، ومن باطن المحنة تتولد المنحة، ومع العسر يأتي اليسر.

لا تيأس وطالع تاريخ السابقين الأولين، وتعلم من سيرهم كيف صمدوا وصبروا وتحملوا في وقت المعاناة والشدائد.

هل تذكر فتى الأخدود وما حدث معه: حتى نصر الله به دعوة الحق وقضى به على دعوة الباطل والظلم؟

هل تذكر أيوب وقد اشتد به المرض زمناً طويلاً: ثم شكا إلى المولى ففرج عنه وعافاه؟

هل تذكر يونس وقد رقد في مكان لم يصل إليه غيره: فعافاه الله من أن يهشم له الحوت عظماً أو يأكل له لحماً؟

هل تذكر زكرياً كبير السن وقد أصاب زوجه العقم: غير أن الله رزقه بالولد؟

ويعقوب -عليه السلام- بعد طول السنين ينتظر الروح والفرج ويبعث أولاده بالأمل في الله: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا تَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

قالها يعقوب وهو الذي فقد ابنه الحبيب، وفقد ابنه الآخر، وفقد عينيه، وفقد وحدة أبنائه ومحبتهم لبعضهم، قالها وهو يثق بأن الله لن يخذله؛ فما خذله سبحانه وتعالى.

قد تقول الآن: هؤلاء أنبياء، وتلك معجزات! غير أنني أقول لك: إن ربهم هو ربنا في زمننا، القادر على إحداث التغيير في حياتهم هو نفسه القادر على تغيير أوضاعنا إلى الأفضل، لكن يبقى أن تتنفس الأمل في كل لحظة، ولن يخذلك الله، فهل خذل الله ولياً له يوماً؟!

وقد مرّت على أمّتنا الإسلامية ظروف صعبة على مرّ التاريخ، ولكن بالأمل والتفاؤل والخير والجِدِّ والعمل خرجت الأمة أقوى مما قبل، فهذا المسجد الأقصى وقع في الأسر ما يقارب الثمانين سنة، ولكن لم يفقد السلطان نور الدين زنكي ولا السلطان صلاح الدين الأيوبي أملهما في تحريره؛ حيث قام السلطان نور الدين زنكي بصناعة منبر للمسجد الأقصى ليوضع فيه بعد تحريره، فقام السلطان صلاح الدين الأيوبي بتحريره ووضع المنبر فيه، وأملنا كبير بإذن الله تعالى بأن يعود المسجد الأقصى مرة أخرى محرراً عزيزاً من أيدي الغاصبين المحتلين، وسيبقى الأردن بقيادة الهاشمية الحكيمة القلب النابض للشعب الفلسطيني والمسجد الأقصى حتى يعود الحق لأصحابه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَزَاهُ قَرِيْبًا ﴾ [المعارج: 6، 7]، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون؛ ودوام الحال من المحال، إننا بحاجة إلى أن نتدبر آيات واضحات: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ يَشْكُرْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: 58]، ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ [الكهف: 59] ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ [الأنعام: 58]، ﴿ فَبَلَكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ [النمل: 52]، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ ظَفَعُوا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: 6 - 14].

إذا كانت هذه نصوص القرآن، فهل يستطيع من لا يؤمن به أن يكذب التاريخ الذي يؤكد حقائق القرآن؟ أين أكاسرة الفرس وقياصرة الرومان؟ وأين وأين؟ ﴿ أَكْفَرَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَانِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ * سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبِيرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ ﴾ [القمر: 43 - 46]، نسأل الله تعالى أن يرزقنا الأمل وأن يرزقنا الصلاة في المسجد الأقصى محرراً، إنه على كل شيء قدير وبعباده لطيف خبير، وأقم الصلاة.

حقوق النشر محفوظة © 1446هـ / 2025م لموقع www.alukah.net **الألوكة**

آخر تحديث للشبكة بتاريخ: 19/10/1446هـ - الساعة: 11:48